© 2019 Al Joumhouria, All Rights Reserved.

ميشال بصبوص خاض حربه مع الحجر

«خلال الحرب اللبنانية أي في السبعينات من القرن الماضي وثمانيناته، ذهب ميشال بصبوص إلى رشانا وبدأ ينحت، فسألوه: ما علاقتك بالحرب وكيف تتفاعل معها؟ فأجابهم بطريقة تشبه ما قاله جبران خليل جبران: «لكم حربكم ولي حربي»، فقال: «حربي مع نفسي، مع فني، حربي مع الحجر». لم يقبل أن يكون جزءاً من بشاعة الحرب، لم يقبل أن يصوّر في فنه قساوتها ومرارتها.

حربه كانت مختلفة، من نوع آخر. لم يسمح لها فرض نفسها على فنّه ولم يسمح لأي مسلّح رسم صورة بلده لأنه كان مؤمناً بأنّه هو الذي سيغيّر الصورة عبر نحته. آمن بأنّ هذه هي الحرب الحقيقية التي يجب على كل لبناني خوضها».

بهذه الكلمات اختصر أناشار بصبوص، في حديث خاص لـ»الجمهورية»، مسيرة والده في النحت. إرثٌ ثقافي قرّرت مؤسسة ميشال بصبوص إعادة إحيائه في معرض يُفتتح اليوم الساعة السادسة في مركز بيروت للمعارض. وقد نظّمه أناشار وصالح بركات، إيماناً منهما بعظمة أعمال ميشال بصبوص وأهمّية إعادة إحيائها، في فترة تحوّل الفن تجارةً لا مكان للإبداع والرسالة البناءة فيه.

طريقة عرض جديدة

أناشار، اسمٌ آخر لهذه العائلة العريقة، تميّز بإكمال مسيرة والده في النحت، فتألّق إبداعاً وحلّق في سماء لبنان حاملاً راية الثقافة والفن. وفي حديث خاص لـ«الجمهورية»، أفصح عن سبب قراره عرض أعمال والده الموجودة في بلدة رشانا في بيروت، لأن الجمهور بحاجة لرؤيتها في المدينة لكي يتقرّب منها. وقد حالت ظروف البلاد دون تنظيم المعرض سابقاً.

أما الآن، فقد نضجت فكرة طريقة عرض العمل المحترف الذي سيتضمّن سينوغرافيا جديدة للرسم والنحت لم نرها قبلاً. وهو إخراج جديد، يُعاد من خلاله قراءة عمل ميشال بطريقة جديدة، وعلاقته بالأشياء من حوله. سيكتشف الحضور الأفقية التي عمل عليها، علاقة أعماله بمختلف الحقبات، منها الكلاسيكية والحديثة التي عمل عليها في السبعينات. الإنتاج الذي كان معروضاً في رشانا، على رغم غزارته، سيُعرض بطريقة جميلة.

أعمال تُعرض للمرة الأولى

أفصح بصبوص عن السبب الآخر للمعرض وهو إعادة عرض منحوتات بيعت منذ سنة 1955 إلى هواة جمع المنحوتات، إلى رجال أعمال، وزارة الثقافة ومصرف لبنان. «وقد استطعنا استرجاعها لعرضها، معيدين التاريخ

العريق لميشال بصبوص. وواحدة من هذه القطع الأساسية هي منحوتة خشبية طولها مترين موجودة في وزارة الثقافة، تشكّل واحدة من أجمل منحوتات ميشال.

كذلك سنعرض منحوتة خشبية شكّلت آخر أعماله في النحت الخشبي كانت موجودة في مصرف لبنان، في مكتب الحاكم. وأهمية هذه المنحوتات هي أن الناس لا يعرفونها لأنها لم تُعرض يوماً على العلن»، على ما قال أناشار.

نحاتٌ ورسّام

ستُعرض أيضاً للمرة الأولى رسومات لم يرها أحد قبلاً، وهي مهمة جداً في مسيرة ميشال المهنية لأنها استمرارية عمله النحتي، فقد قال: «يوماً ما سيكتشفني العالم رسّاماً كبيراً مثلما اكتشفني نحاتاً عظيماً»، وقد قالها في آخر حياته عندما مضى هذه الأعمال المرسومة بالفحم وبالحبر الصيني.

من الكلاسيكية إلى الفن المعاصر

يؤكّد أناشار أن «أهمية والده تكُمن في أنه الفنان والنحات اللبناني الأول الذي نقل فن النحت من الكلاسيكية التي تتمثّل بالنصب التذكارية ونصب الشهداء التي تعود إلى زمن القرن الثامن عشر، إلى الحداثة التي تتمثّل بالحرية. وكان الأول في لبنان والشرق الأوسط في نقل هذا الفن من التصويرية إلى التجريدية، ففكّ قيوده وأصبح لديه حرية التصرّف بالمنحوتة، مثلما يتصرّف الرسامون برسوماتهم بتجريدٍ وحرية، وذلك في المواد المستعملة أيضاً».

أما الأهمية الثانية فهي أنه لم يكُن أسير نجاحه الذي أتي باكراً مسبّباً له حالاً من الضياع، فاتّخذ أسلوباً معيّناً في النحت، قلّده الجميع. «هذا النجاح لم يكبّله، فقد استمرّ في البحث عن تقنيات جديدة، لغة جديدة في النحت، مواد جديدة مثل الخشب، الصخر، الحجر، البرونز، الحديد، الألمنيوم. وقد سلّطنا الضوء في هذا المعرض على مدى تشعّب الموضوعات التي نحتها، عبر القطع الفنية التي نعرضها.

وحقّق إنجازات مختلفة، لكن كلّما بلغ نجاحاً «تجارياً» أو «شعبياً»، كان يتركه ويبحث عن نجاح آخر، لأنه لم يكن يسعى إلى هذا النوع «التجاري». كان مغامراً فنياً، لذلك نشهد على غزارة المواد والأبحاث التي عمل عليها».

متحف رشانا

إكتسبت رشانا أهمية قصوى في حياة ميشال الفنية والشخصية لأنها مسكنه أولاً، ومحترفه ثانياً. فحوّلها متحفاً للنحت واكتسبت معه صورة جديدة، فمن يعرف رشانا قبل ميشال لا يعرفها بعده. نقل صورة البلدة نقلة نوعية

لأنه حوّلها متحفاً في الهواء الطلق.

أخرج النحت والفن إلى الطبيعة، وهنا أهمّية العمل، لأنه لم يكتفِ بوضع بعض القطع الفنية في حديقة منزله بل حوّل الطبيعة البرية إلى متحف للنحت، فنجد تمثالاً تحت شجرة التين، وآخر قرب الصنوبرة... حرّر الفن من الهندسة، ورفعه إلى الهواء الطلق. رشانا هي مشروع ميشال، مشروع فني متكامل يتخطى النحت، فمن 1960 إلى 1964 نظّم مهرجان رشانا وكان باكورة المسرح اللبناني، فقد استقبل فرق مسرح من العالم كلّه مثل إيطاليا وفرنسا.

وقد بدأ الأخوان ملتقى فنّهم في رشانا، إلى جانب جورجيت جبارة في الرقص وتوفيق سكّر في الموسيقى. فحوّل البلدة مركزاً فنّياً عالمياً للبنان. حتّى إنّه فكّر في بناء بيوت على شكل منحوتات، يستقبل فيها فنانين، كُتّاب، شعراء، نحّاتين، رسّامين... وهدفه كان أن يخلق من رشانا مكاناً يبدع فيه الفنانون كُلّ في مجاله، ويجعلها مركزَ تفاعل فنّياً يُكسبهم معرفة فنّية شاملة.

إرثٌ خالد

لا يشكّ أناشار في استمرارية إرث والده، أوّلاً «لأننا حافظنا على أعماله التي هي الأهمّ، فهو تركَ فنّاً جميلاً جدّاً. أمّا الإرث المعنوي، فسيستمرّ أيضاً من خلال المعارض، الكتب التي سننشرها، أعمالنا نحن كعائلة بصبوص، الأرشيف الذي يتمثل بمخطوطات وكتابات كتبها ميشال، صوَر له ولمنحوتاته... وكلّ هذا الأرشيف سنحفظه في مكتبة جامعة الروح القدس – الكسليك، بهدف وضع الأعمال في متناول الطلاب والباحثين».

ويتابع بصبوص قائلاً: «كذلك، سيحافظ الجيل الجديد من عائلة بصبوص، على الروح التي خلقها ميشال في هذه القرية، فأولاده وأولاد إخوته سيستمرّون في هذه المسيرة ولكن ليس بالطريقة نفسها.

أنا ابنه وأعمل في النحت ولكن لا أمشي الطريق نفسه الذي سلكهُ والدي، أستفيد من الإرث الذي أعطانا إيّاه، أستوحي وأتغذّى منه، لكن من المهمّ جداً أن نبقى صادقين مع أنفُسنا والعمل على ما يشبهنا. فهو اتّبع هذه النظرية أيضاً، لأنه لم يقلّد غيره بل عمل ما يشبهه، في القرن العشرين».

أبٌ بطل

لم يتميّز ميشال بكونه نحّاتاً عظيماً فقط، فهو كان الأب المثالي الذي لن ينساه أبناؤه. ويقول أناشار: «لم يَكُن أبي إنساناً عادياً، ولأنّه كان فريداً في فنّه ونحته وعلاقاته مع الآخرين، كان بطلي. كان أبي الفنّان العظيم الذي حارب المرض بشجاعة مثل الأسد، فكلّ هذه الأمور صوّرته لي نصف إله.

وكنت أتخيّل أن مع الوقت، وعندما أصبح أنا والداً ستخفّ عظمة أبي في نظري ولكن الآن أجد أنّ ميشال بصبوص لا يزال في نظري نصف إله فأعماله ستبقى تغذّيني مدى العمر. وكلّ عمل يُذكّرني به لأنّ فيه من روحه ويديه.

فعلاقتي بوالدي روحانية إلى أقصى الحدود، لأنّه كان أباً مختلفاً ولم يُعاملني يوماً كولد صغير على رغم أنّني كنت في سن الـ11، كان يُحاكيني وكأنني شاب في سن الـ25، وقد فهمت بعض الأشياء التي قالها لي بعد مماته، عندما نضجت وأصبحت كبيراً».

فيختم أناشار مختصراً علاقته بوالده فيقول: «أثّر والدي في حياتي كبير وقد استلزمني التحرّر منه وقتاً طويلاً. كان يصعب عليّ التحرّر منه لأنني ابن بصبوص، ونظراً إلى الحب الكبير الذي أكنّه له، لم يكُن سهلاً بدء مسيرة مهنية في النحت، خصوصاً أنني كنت أريد خلق هوية خاصة بي، أن يعرفني الناس باسمي، أناشار بصبوص، وليس باسم والدي. فأنا أيضاً أملك أفكاراً أطرحها، أملك أشكالاً أظهرها...»

عندما نتكلّم عن رشانا حالياً لا يتراءى في أذهاننا إلاّ متحف بصبوص النحتي وهذا وسام في تاريخ لبنان لن يموت. هذا هو الوجه الثقافي لبلدٍ فقد وجهه الحضاري مع الحروب والقتل. لذلك يفتخر كلّ لبناني بعائلة بصبوص، وبكل عائلة فنية برزت في عالم الفن لتظهر إلى العالم صورة لبنان الحقيقية.

مريام سلامة **16/09/2014**